في المقعد الخلفي

لمياء محمود

في المقعد الخلفي / قصص

لمياء محمود

الطبعة الأولى ، ٢٠١٠

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفه

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/١٥٥٨٧

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ٠١٠- ٣

في المقعد الخلفي

قصص

لمياء محمود

الطبعة الأولى

٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع

أصوات خفية حبيبة أصوات أولئك الذين

ماتوا،وأصوات الذين بالنسبة إلينا ضائعون مثل الموتى

تتكلم في أحلامنا أحيانا وأحيانا في الفكر يسمعها

العقل، ومع أصدائها تعود برهة أصوات من قصائد

حياتنا الأولى

مثل موسيقى بعيدة في الليل تخبو.

(كفافيس)

الإهداء

إلى أبي عله يصدقني .. وإلى أمي ربما تطمئن

إلى المعلم محمد رضا وناي لم يأت بعد .. إلى عشرة العمر ..

شيماء السعودي التي شاركتني همومي قبل أفراحي

شيماء ابو المعاطي وعيون الحنين

أميرة حســن الدسوقي .. عن العبث المنطق اتحدث

غادة عاطف .. فتاة بعيون طفلة

إلى كل من خرجوا فارتطم باب القلب خلفهم

و .. إليك ...



في المقعد الخلفي

بيت ، شجرة ، سيارة رمادية اللون .. المقابر ...

طالعتها كلها من خلال موقعها في المقعد الخلفي .. طفلة كانت ذات اعتقاد راسخ ، فالبيت والشجرة والسيارة وحتى المقابر هي التي تتحرك .. ليس هي أبدا.

أيام .. شهور .. سنوات.

تبدأ في الاستيعاب .. كل الأشياء ثابتة.. هي وحدها تتحرك .. تجلس .. تنظر بشغف للمقعد الأمامي ، إذا كانت الحركة كتبت عليها فلما عليها أن ترضى بمقعدها الخلفي !!!.

ساعات .. دقائق .. ثواني.

تنتقل إلى المقعد الأمامي .. تمتلك نظرة مغايرة للأشياء من مكانها هذا.

زهرة .. حبيبين .. طفلة .. مسجد.

لحظة .. لحظات .. الآن.

تنظر إلى مقعد السائق .. فتصدمها حقيقة اختيارها لسائق

متهور .. سيندفع بها ليصطدم بأقرب شاحنة يعلــم جيــدا أن سائقها قد تعاطى الأفيون.

ــ سأعيد ترتيب المساء بما يليق بخيبتي ــ

تعود إلى مقعدها الخلفي مرة أخرى.

بيت متهدم .. شجرة ذابلة .. المقابر.

"يااااه ع الوجع"

تنظر مرة أخرى للمقعد الأمامي .. اشــتاقت للملحــات السابقة .. تغبط الجالسين بالمقعد الأمامي .. في تلك الإذاعــة الرديئة يخبرها المطرب ذو الصوت العذب ــ يا بخت مين كان ورا وحابه الزمن قدام ــ تبتسم رغما عنها.

سخرية الموقف والكوميديا السوداء تنال منك كل مــرة ،، تهمس لنفسها.

على بعد خطوات سيارة فارغة ، سائق آخر ينتظر .. مــن يدري فربما انتظرها هي .. تحتل المقعد الأمامي على عجل .

جنينه .. أحبة .. أطفال .. زينة لأعياد الميلاد.

تسرعت في اختيار السائق و لم تتسرع في مغادرة السيارة .. نفس المشهد .. الشاحنة والسائق والأفيون ، ولكــن تلــك المرة أسرعوا في استغلال الفرصة.

تصادم .. أشلاء .. ركام .

تركت السيارة بمقاعدها .. خلفي وأمامي.

ــ أمس انتهينا فلا كنا ولا كان ــ

من الآن فقط الحافلات .. علها تجد بعض الدفء في تلاحم الأجساد .. ربما تشعر ببعض الألفة في رائحة عرق نفاذة.

تصعد إلى الحافلة فارغة .. يصعد شخص أو اثنين.

يحاول أحدهم منحها دفئا وقتي .. ويبتعد الآخر واقفا عند نفس الباب الذي صعد منه مستعدا للمغادرة في أي لحظة.

تترك الحافلة وتختار مقعد الانتظار في أي محطة لتجلس.

ــ ينبئني شتاء هذا العام أني أموت وحدي ــ

.

وحدي



نسيوا بعض وارتاحوا



نظرتي الأولى معك كانت كنظرتي الأخيرة تقريبا ، ففـــي الأولى أخبرتك أني سأعشقك .. وفي الأخـــيرة أخبرتـــك أني عشقتك يوما .. ما بعد الأخيرة لم تكن نظرات .. كنت فقط "بيص عليك" .. "بيص" ..كآخر .. آخر يحمل الكـــثير مـــن ملامحك ، يشبهك جدا ، إلا أن حاجبي هذا الآخـــر لم تكـــن ترتفع في دهشة إذا ما خرجت مني كلمات اعتبرهـــا غريبـــة علي.. وكأني أنا أيضا أصبحت أخرى .. أخرى تـــصافحها سريعا كما يجدر بك مصافحة الأخريات ، ولا تترك يديك في يديها طويلا عن عمد .. أخرى لا يجوز أن تضيق عينيك عند اللقاء فتصبح هي في منتصف الرؤية .. أصبح التعامل كـــذلك أكثر سهولة ويسر.

عندما مررت بالنيل أخبرني أنه لم يشهدنا سويا أبدا كمـــا شهد معظم عاشقي هذه المدينة .. إلا أن رائحة الفلفل الطازج التي داهمتني وأنا بجواره وألقتني عنـــدك قـــد جعلـــتني أكفـــر بالعلامات ، في الأساس لم تكن العلامات تصلح أن تكون إيمانا فأكفر به .. إلا أنني يوما ما قد رغبت في أن أصدق أن عبـــور

الشاب النحيل جدا من أسفل شرفتي بالتأكيد يحمل معنى ما مردوده عندك .. إلا أن رائحة الفلفل قد جعلتني أدرك أنني أخطأت ، فالنيل لم يفعلها أبدا ورآنا سويا وأصبح من المؤكد أنه لن يكون باستطاعته ذلك.

النيل وحده لم يرانا سويا .. بالرغم من أن معظم شوارع هذه المدينة شهدت على ما زعمناه بيننا ، وعناق المواصلات العامة المختلس والمبرر بتزاحم البشر ووجوب حمايتك لي منهم، ومدرجات السنة الأولى والثانية وتشابك الأقدام أسفل معاطف الشتاء الثقيلة ، والتعلل بلملمة مساطر التي حتى تتلامس الأيدي في خلسة.

الآن أدركت أن خوفي من الأخريات وخوفك من الآخرين لم يكن مبررا على الإطلاق ، فحينما أصبحت أنت آخر وأصبحت أنا أخرى .. توقفت القبلات الهوائية والنظرات الفاضحة ولملمتك لخصلات شعري المبعثرة بفعل الخماسين.

هل كنت تعرف حينما اختلست قبلتك الأولى من وجنتي اليسرى ، أن يوما ما سيأتي ستتوقف عن تقبيلي راضيا دون أن يبدو على وجهك أن هناك ما يعكر صفوك؟! ، وهل كنت أعرف أنا .. حينما تركت أصابعك تترك لمساتها الأولى على أصابعي وارتحت لدفأهم التلقائي ، أنه سيأتي يوما ما أشعر

بالغربة إن زاد عدد الثواني المحدد للمصافحة بيننا؟!.

شوارع المعادي بأرقامها ، عربات المترو وسواقي الميكروباصات المتغامزين .. هل عرفوا جميعا؟

فرشاتك حينما رسمت ابتسامتي .. هل عرفت أنه يوما سيأتي ستمتنع فيه عن رسم صمتي ؟

لوحتي الأولى لوجهك .. هل تنبأت أن عند الوصول للوحة الأخيرة سيكون علي أن أوقعها كأحد رسامي الطرق لأحد المارة الغرباء؟!!

هذا الكم من الأسئلة ليس مهما على الإطلاق .. وربما هو ليس شيئا إلا محاولة الهروب من السؤال الصداع .. هل النهايات مؤلمة؟ .. وإن كانت فماذا بي؟!!!

النهايات ليست مؤلمة .. كما انتهى حبي لزبدة كاكاو لونا- والتي تشبه في لونها حمرة الشفاة ولا يمكن مصاحبتها باعتراض الأهل .. كما انتهت لعبتي بتخيل "طشت الغسيل" بمترلنا عرش والجلوس فوقه غير عابئة بصراخ أمي ألا أفعل وادعائها إن هذا يصيبني بالفقر _ بهذه البساطة _ كان علينا أن ننتهي.

حينما استبدلت زبدة الكاكاو بأول قلم لحمرة الشفاة كان

إحساسي عاديا ..

كنت أعرف أنها مرحلتي الطبيعية التالية .. ولذلك حينما تستبدلني بالفتاة ذات الشعر المصبوغ ، واستبدلك بالشاب الذي يتحدث كثيرا .. على إحساسنا أن يكون عاديا جدا .. أصبح علي الآن أن أسعد بما هو أكثر من شيكولاتاية جالاكسي بالزبيب ..

وعليك أن تكمل تسلطك العنيد عليها لتداري شعرها الأشقر صناعيا ، فتنصاع هي وتختبر أنت فحولتك وأثرها عليها.

النهايات ليست مؤلمة .. فلماذا يزعم الجميع ذلك؟!! .. أتعجب منهم جميعا .. يخشون من تكرار القصة لتجنب الصدمة .. هل يكذبون أم أنا الكسر الوحيد لتلك القاعدة؟!.. وحدي أرى أن النهايات عادية .. فإن كنت محقة ، فلماذا الكذب من الأساس .. هل هو مجرد التلذذ بلعب دور الضحية في فيلمنا الخاص؟

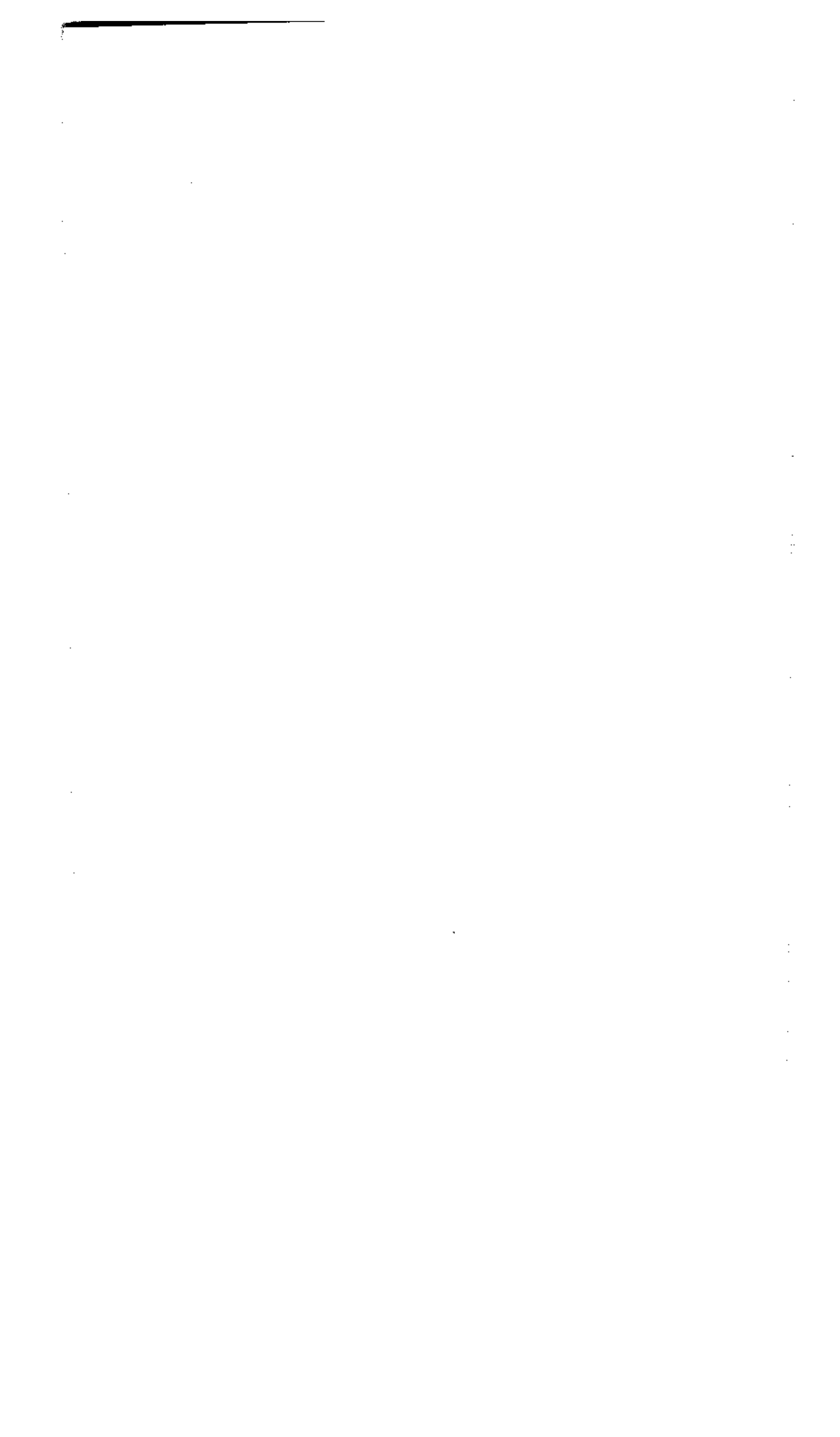
استيقظت صباحا .. تناولت إفطاري مصحوبا بالشاي بالنعناع الذي يحبه كلانا .. وارتديت ملابسي ، فخرجت ، قابلتك وانهينا ما بيننا ثم عدت إلى منزلي .. أحداث عادية في يوم عادي ، كان من الممكن جدا بدلا من أن ننتهي أن أمر

بأحد القصور القديمة لأدرس معمارها كما اعتـدنا أن نفعـل سويا .. أو حتى أن أقابل أصدقائي دون أن احجز الكرسـي المجاور في انتظارك.

اليوم أدرك جيدا .. أن نهايتنا عادية وأن الأسـطورة مـن الممكن جدا أن تنكسر .. اليوم فقط من حقك أن تستعـصم علي في أحلامي وتتركني لليلة هانئة بلا صحوات مفاجئة.



ادعاء



قالوا أن أبشع ما في السجن أربع حوائط ونافذة لا تطـل على شيء .. قالوا أن أبشع ما في الغربة هو افتقادك لرائحـة الأفران البلدي وبحثك في الوجوه عن من يشبهك ، ولـذلك يحلم المسجون بيوم الخروج ويستنشق الغريب رائحة وطنـه في أي غريب مثله .. على كل حال فذلك أهون كثيرا من غربـة في وطن وسجن في البرااااح.

كانت كطفلة صغيرة بعيون واسعة تحتوي الدنيا ، تعـرف لذة البدايات متعة المرات الأولى .. أول مرة تـشاهد سـعاد حسني بفساتين أميرات الأحلام كانت ذات سحر خاص هـو الذي أضفى على بقية المرات ميزهـا .. أول أيـام الدراسـة ورائحة الملابس الجديدة وجلسة تجليد الكتب والكراريس هـو الذي يعطي بقية أيام العام ما يجعلها جديرة بالتحمـل .. أول مرة استطاعت فيها إنهاء عبئها المدرسي دون أن تمـسك الأم بيديها ، والفرحة التي اخترقت قلبها وقتها .. كانت هي مـا أمدها بالطاقة لتكمل العبء وحـدها بقيـة أيـام العـام ..

الاستمتاع بالبواكير هو أروع ما في الطفولة.

بداية واحدة لم تعيها .. بداية واحدة كرهتها .. بداية إحساس بالعار بعد صفعة من معلمة الصف الأول الابتدائي بعد ما اقترب صديقها الصغير ليصالحها بقبلة على خدها بعد أن أوقعها أرضا وجرحت ركبتها .. لم تعرف يومها أن ما شعرت به كان العار ، فعقلها الصغير لم يستوعب إلا إن الصفعة كانت وعلى الملأ .. لا تريد تلك البداية إن كانت بداية لصفعات متتالية .. لأول مرة تحمل البداية الواحدة أكثر من بداية ، بداية الصفعة كانت بداية السخط ، الغضب ، الإحساس بالعار والرفض والخضوع والإجبار في آن واحد .. عيونها الصغيرة لم تتحمل اختلاط الأمور وتعقيدها فانهارت دامعة .. معلمتها الخرقاء .. ظنت أنها تبكي أثر الصفعة فصرخت ..

"عيطي كويس عشان تعرفي تعملي كده تاني .. ربنا مش حيسامحك"

ثم أمرتها بالوقوف في أول الفصل ناظرة إلى الحائط .. على الرغم من صديقها الجالس ضاحكا ببلاهة في وسط أقرانه.

السقطة .. الجرح في ركبتها .. قبلة صديقها .. الصفعة .. وجهها للحائط .. الدماء ساخنة تتسلل على قدميها

الصغيرتين.. الدماء ساخنة تماما كـدموعها .. "ربنـا مـش حيسامحها" .

العلامة التي تركها الجرح فيما بعد جعلتها تتساءل كثيرا .. لماذا لم يطبب أحدهم جرحها؟!!

التعقيدات أكبر من احتمال رأس صغير.

****

أن تكبر الفتاة عبئا ليس سهلا على الإطلاق وخاصـة إذا اعتبرتها قنبلة موقوتة توشك على الانفجار في أي لحظـة بعـد ولادتها.

هل سمعت أحد معاكسات الشارع من قبل ؟ .. هل سمعت أحدهم يقول لمن هي إحداهن أنها قنبلة؟ .. ألم تتساءل ولو لمرة ما معنى الكلمة؟ .. هل يقصد أنها ستنفجر أم أنها ستفجر؟!

أن تتحول الطفلة إلى فتاة فمراهقة فأنثى هو الطبيعي جدا. إما أن تصر على أن تحول طفلة إلى أنثى بين عشية وضـحاها فأنت تطالبها بما لا تطيق عليه فهما.

العورات .. الغرائز .. الحجاب .. الرجال .. الفتنة .. أل..

كلها مفردات من المستحيل على طفلـة أن تـستوعبها في دقائق لتطبقها في الليلة التالية ، بالأمس فقط كانـت تلعـب

بدميتها الوردية صانعة لها العشرات من الـضفائر مـستحيلة الفك.

هي طفلة تجاوزت عامها الحادي عشر منذ أيـام قليلـة .. اليوم يجلس أباها ليحدثها عن قطعة القماش بيده التي ستضعها على رأسها غدا في طريقها إلى مدرستها!!.

هل تريد أن ترى معي تعبيرات الوجـه الـصغير في تلـك اللحظة؟ .. هل رأيت من قبل كلب منزلي قام بفك حـصرته في المكان الخاطئ؟ .. هل رأيت نظرات وجهه وملامح عـدم الفهم الواضحة حينما تصرخ في وجهه؟ .. بالنـسبة لـه أي مكان مناسب جدا ليفعلها .. وبالنسبة لها شعرها لم يكن مـن الأجزاء التي تضرها أمها إن كشفتها.

سخرية الأصدقاء .. شوارع واسعة وملاعـب لم تحمـل بداخلها فتاة من نفس العمر تضع نفس القماشة على رأسها ، لا بيضاء ولا بأي لون آخر .. الاختلاف ليس دائما ممتعا.

ماما .. أنا مش عايزة البس الطرحة دي.

بابا قال خلاص.

طب ليه يا ماما؟!! .. أصحابي محدش منهم لابسها.

يسمع الأب الرغبات الصغيرة فينطلق متحدثا عن المعروف

والمنكر و.. و.. و.. كتمت دموعها قهرا متسائلة .. هل كان على أباها أن يفعلها فقط من أجل أن يبدو أكثر تدينا؟ .. ستتذكره بعد ذلك وهو يقول بفخر "حجبت بنتي وهي ١١ سنة" . . وفي كل مرة ستمسك بنفسها وهي تتساءل إن كان الأمر بهذه الأهمية ، لماذا لم يبحث عن فتاة ما ببلدهم تضع نفس الشيء على رأسها بدلا من الزواج بأمها ذات الشعر الفاحم والركبة المكشوفة.

الصفعة .. الدم الساخن .. جرح ركبتها .. سخرية الأصدقاء .. هو القهر والرغبة في توقف البدايات.

هؤلاء الذين يحملون أرواح حرة يكسرهم الاضطرار أكثر من غيرهم .. لذلك كان انفراد طوق السنين فوق جدائل شعرها عنوة يحمل داخلها معنى أكبر من مجرد خصلات .. ولكن المعنى الأول في لحظتها كان أنه لم يعد بإمكانها أن ترتدي فستان يغطي القليل من الركبة عاري الكتفين وتجري بالكعب العالي تاركة نسمات الهواء تداعب شعرها كسعاد حسني.

عنها والولد الذي....!!



هذه المرة تختلف ، تهرب وتتوارى من الحقـــائق فتظهرهـــا كالوهم ، متخذة قرار الهروب من كل ما قد يواجههـــا بمـــا تحمل للولد الـــذي يكتب أسمه بجبينها بحبر مـــن القمـــر .. ينشطر القمر فتظهر صورتها في الجزء المعتم ، تلاحـــق ذلـــك الشيء الذي يختلف من حين لآخر كلما انـــشغلت في ليلـــة بالقمر .. رأته فتاة تبكي الولد الذي هجرها ورأته في أخـــرى أرنب ربما اختار القمر مكان ليختبئ من الصياد .. فاختارت طوعا أن تلاحق ذلك الشيء لتهرب من مواجهة عينيه الجديرة بالتقبيل.

عندما وقفت على الجبهة الأخرى لها لتواجهها رأتها وهـــي تحاول أن تنشغل بأحاديث جانبية فارغة عن متابعة تقـــسيمات ظهره التي تغريها جدا باحتضانه .. وقفـــت هـــي الأخـــرى تضحك مراقبة إياها ، وتخبرها أن استغراقها في الحديث عـــن الأزمات الكونية العظمى محاولة أن تتجاهل مسيرته أمامها لـــن

تنفعها على الإطلاق ، فربما يأخذها الحديث إلى أزمات المـــارة ومن المارة تبدأ في البحث وسط العابرين عن من يحمل ملامحه ، فتنتقل ببصرها مرة أخرى إليه متابعة أدائــه ومـــستغلة خلـــو وجهها من التعبيرات المفهومة ، تاركة ابتسامة مَهملة لمحدثها.

مع تترات النهاية يأتيها الواقع ليواجهها .. أن الولد الـــذي لن يصلح أبدا أن يكون ذكرى تجترها في الأمسيات الخريفية ، وتغلفها بصوت فيروز ، متذكرة أن يوما ما .. كان هناك ولدا إن توقفت عن الهروب كان اسمه سيكتب فوق جبينها بحبر من القمر .. كانت تهرب من استدعائه لمنطقتها الورديـــة محاولـــة الاعتصام بصور آخرين تاركة إياه لمنطقة خضراء جديرة بـــأن تتوقف عند مستوى الرقي المناسب ، مبتعـــدة عـــن الملامـــح الغجرية والتعبيرات الثائرة .. متعدية فقط معرفة هز الرأس.

إدراك



المشهد يحتوي على عدة صور غير متناسقة .. هناك زجاجة عطر نصف فارغة ، إبريق من الماء ممتلئ لآخره ، بضعة عملات لم تعد صالحة للصرف ، وهي

هي تجلس في وسط كل تلك الأشياء تعقد شعرها الأبيض فوق رأسها في عشوائية مرتدية فستان قصير باهت السواد وحذاء نبيذي لامع لحداثته .. تمد قدميها وتنظر بإعجاب لحذائها

تلتقط علبة سجائر من خارج المشهد ..

تشعل سيجارة وتسحب منها نفسا وحيدا .. تراقبها قليلا ثم تلقيها في إبريق الماء الفارغ .. لا لا .. كان الإبريق ممتلئا حتى آخره

المشهد يحتوي على عدة صور غير متناسقة .. هناك زجاجة عطر نصف فارغة ، إبريق من الماء ممتلئ لآخره ، بضعة عملات لم تعد صالحة للصرف ، هي

هي تجلس في وسط كل تلك الأشياء تعقد شعرها الأبـــيض فوق رأسها في عشوائية مرتدية فستان قصير باهـــت الـــسواد وحذاء نبيذي لامع لحداثته .. تمد قدميها وتنظـــر بإعجـــاب للحذاء

تلتقط وردة ذابلة جدا من خارج المشهد وتضعها في شعرها المنسدل الفاحم سوادا .. لا خطأ

شعرها أبيض معقود بعشوائية فوق رأسها

في الخلفية يصدح صوت فرانك سيناترا .. سترانجرز إين ذا نايت .. تقف وتدور قليلا على حذائها الأبيض المهترئ .. ألم نقل من قبل أن حذائها أبيض متهرئ .. نعم ليس نبيذي لامع لحداثته .. تخيلوه أبيض متهرئ

تمسك بالعملة وتقرر أن تبعث لشراء نبيذ بلـــون حـــذائها اللامع التخيلي .. إلا أن العملات كما قلنا لم تعـــد صـــالحة للصرف .. تلقي بالعملات في نفس وضعها

تتكور على ذاتها في وضع لطالما حسدت راقصات الباليـــة على إتقانها .. تحشر رأسها بين ركبتيها ثم تفرد ذراعيها .. لا إن راقصات البالية لا يفعلونها كذلك

تخرج من المشهد .. تقف أمام مرآة خارجـــه .. شـــعرها

الأبيض الأسود المنعقد المنسدل .. حذائها .. اوووووووووف

من البداية .. تصنع خطا وهميا على جسدها بإصـــبعها .. بداية من مفرق شعرها وصولا إلى أصابع قدميها

المشهد يحتوي على عدة صور .. هناك زجاجة عطر ممتلئـــة حتى نصفها ، مناديل ورقية ، بضعة عملات معدنية ، هي



حنين

تتداخل الدقات مع لا وعيه لإفاقة لابد منها .. إفاقة ليـــوم جديد مبتدئا باكتشافه أن نومه الخالي من الأحلام قد قوطـــع الليلة الفائتة بها .. ليصبح عليه الاستيقاظ بمشاعر متداخلة.

لم يعرف أبدا لم هي تمتلك هذا التأثير عليه .. عرف مـــن عرف ورحل من رحل .. ومازالت هي كـــــلما عـــبرت في ذاكرته جعلته يستيقظ على أن الحياة مازالت تمتلك طعما مـــا بغض النظر عن تحديده .. الشيء الهام أنها تمتلك القدرة علـــى إفقاد حياته بعضا من مسخوتها.

هـــــي .. ملامحها العادية الغير عادية ، ابتسامتها البريئـــة والتي بالرغم من براءتها تشعرك بقدر عفيف من الجرأة ، هـــي المفاجأة والاكتشاف .. تذهله وتخيفه .. ربما لذلك لم يقـــدر على المصارحة معها .. لم يدر الزجاجة حتى بينه وبين نفـــسه ليخبر نفسه عن حقيقة مشاعره .. يكـــتفي معها بالتذكـــر أو عدة أيام يقضونها سويا ، أيام ليصنع منها ذكـــرياته عنها وهو على علم تام أن نهايتهم ستكـــون الفراق وعليه أن يكـــــون

السبب فيه بأي وسيلة.

حلمه ترك فيه شعورا أن عليه أن يتركها تحاصره بقية يومه.. فليكمل اليوم بين ما تحب هي .. خطوته الأولى ستكون مع جهاز الكومبيوتر وملفات الأغاني .. أخبرته دائما أن..

"أول حاجة بعملها الصبح أول ما اصحى إني ابدأ يومي بأغنية"

ماذا سيختار؟ .. إن كان قرر أن يحيط نفسه اليوم بأجوائها فمنير إذن .. حتى وإن لم يحبه أبدا يستحق أن يعطيه الفرصة اليوم ليلتمسها في صوته .. أغنية عشوائية ويذهب لينتقي ملابسه.

تعشق الأزرق .. سيرتديه .. جميع درجاته مع ربطة عنق ملائمة .. يتوجه إلى المطبخ ويعد فنجانا من القهوة التركية .. ذلك السائل المرير الذي لم يفهم يوما لما تحبه.

"الحدفات" أساسية اليوم .. كان على منير أن يتسرب ليأخذه ملقيا إياه لأحد أيامهم سويا .. ـمش عايز احبك مش عايز مش داخل سجنك مش جايزـ.. يذكر جيدا محاولتها معه ليحب منير .. اختارت تلك الأغنية تحديدا وأخذت

تفسرها له .. تحدثت كثيرا عن كيف أنه بالفعل يحبـــها بـــل ويعشقها .. هو الخوف إذن .. شعر وقتها بتورية في كلامهـــا عن وضعهم المعقد سويا فأسكتها بقبلة من قبل أن تنـــهي مـــا بدأته.

أنا حاسس دمي حيتصفى

تعلو الابتسامة وجهه فيتأكد أنه مدين لها بتلك الابتسامة .. ينتهي من إعداد قهوته .. يبدأ في ارتشافها ببطء واستمتاع، في كل رشفة يتذكر ملمح من ملامح وجهها ومن رائحتها تأتيـــه رائحة أنفاسها .. مع وصوله للتنوة أصبح يذيبها في فمه وكأنه يلوك شفتها العليا.. كره طعم القهوة وعشق قبلتها.

ليكمل أجوائه عليه أن يشعل بخورا ما .. ويبدأ في ارتـــداء ملابسه على خلفية موسيقية عطرة .. ينتهي من ارتداء ملابسه ويبدأ في تأمل نفسه بإعجاب، وسيم هو ويعرف ذلـــك عـــن نفسه جيدا ويعرف أيضا أنها أبدا لم تكن كمثيلاتها و لم تحبـــه لهذا السبب ... آآآه لو رأته الآن وهو مسربل بدرجات مـــن لونها المفضل لضحكت قائلة.

"كده أنا ممكن أ تجوزك حالا"

ضحكتها التي يصر على تسميتها بالحقيرة .. يبتسم حينمـــا

يتأكد أن ضحكتها بالتأكيد كانت أكثر ما في حياته ملائكية.

سارع بإنهاء آخر اللمسات ليتجه إلى عملــه،في الطريـــق سيضع سي دي لفيروز فعلى حد قولها ..

"عارف .. فـــيروز دي صـــوت مـــن الجنـــة .. فـــيروز وشيكولاتاية واوضة ضلمة أروع من ممارسة حب بين اتـــنين كيميتهم واقعة"

عرج على مكان ما ليبتاع نوع سجائرها المفضل .. علـــى سيجارته الأولى أن تكون منها .. أشعل ســـيجارته بولاعـــة كانت هديتها لتفاجئه فيروز بقولها..

حتى الهدايا وكانت كل ثروتنا .. ليل الـــوداع نـــسيناها هدايانا

شعر تلك اللحظة أن اليوم مزحوم بالعلامات التي تأخـــذه إليها ،، أم أن علاماته من صنعه هو؟! .. ليس عليه أن يـــشغل نفسه كثيرا بالتساؤل الآن فيكفيه سعادته بتلمسها في اللحظة.

يصل إلى مقر عمله .. شيء يختلف اليوم .. السلام المتبادل ككل يوم .. الابتسامات السطحية مازالت تمـــرر . إذن مـــا المفقود؟

هو الفراغ .. الفراغ داخل روحه لم يعلن عـــن وجـــوده

اليوم.

في مكتبه كان العود الثاني من البخور في بدايته لحرق نفسه وقدح القهوة الثاني متجاهلا دهشة عامل البوفية ..

في استراحته كان على منير أن يتم ما بدأه في المترل .

ـوأخاف لو قلتي بردانة اغطيكي بإحساسي ما تتدفيشـ

يفاجئه صديقه..

"منير؟! .. قهوة؟! .. بخور؟!"

"حلمت بيها أمبارح مش عارف ليه"

"هي لسة بتحبك؟"

صمت ولم يجيبه تلك أشياء لا يسأل عنها ولا تتم الإجابة عليها .. هي ككل تلك الأشياء التي نتمناها ولا نعرف إن كنا سننالها أم لا.

كرر صديقه السؤال في إلحاح ليأتيه الرد في عصبية

"اسألها هي"

"هي فين دلوقتي؟"

"معرفش"

"بس سهل تعرف .. ولا أنت مش عايز تعرف؟"

يكره نظرة اللوم بعين صديقه .. يملك هذا الصديق اعتقـــاد أنه الأدرى والأعلم بشئون علاقتهم الـــتي استعـــصت علـــى إدراكهم .. الأمر بالتأكيد أكثر تعقيدا من مجرد المعرفة أو حتى سؤال عن وجود الحب من عدمه.

الذكرى .. الحيرة .. الاختلاف .. الهروب.. أترك يدها؟.. أم هي فعلت؟ .. أم اجبرها أن تفعـــل؟ .. الـــشيء الوحيـــد الواضح بيقين هنا هي كل لحظات الافتقاد التي يحياهـــا علـــى فترات متباعدة.

_ آخر مرة أما سيبتك كتمت الشكوى ليه_

انتهى من عمله .. عاد إلى منزله .. استلقى ممـــسكا بقلـــم وورقة ليمارس هوايته الباقية من زمن مضى .. زمن عشق فيـــه الرسم وطاف جاليريهات غمرة واقفا أمام المعروضات متمنيـــا الحصول على المبلغ المالي للوحة بعينها.. لوحة ارتشفها حـــتى الثمالة،، قلدها أكثر من العشر مرات.. وفجـــأة وجـــد يـــده مدفوعة فوق الورق لتخط اسمها .. تذكر حينما كانت تجلس بجانبه منفعله بما يرسم .. تذكر حينما رسم لها ذلـــك الممثـــل الأسباني التي تعشق لتقف فاغرة فاها مخبرة إياه.

"أنت فنان"

يذكر كم ألحت عليه أن يرسمها وكم تعلل بأسباب واهية كي لا يفعل .. رسم الكثيرات إلا هي .. لم يستطع أبـدا أن يسجن ملامحها داخل لوحة .. هل هربا من التركيز في ملامحها وممارسة الغـرق .. أم خوفا مـن أن لا تفيها فرشاته حقها،فبالنهاية لم يخلق بعد الفنان الذي يستطيع تجسيد ذلك الإحساس في عينيها بألوان.

أفاق نفسه من خواطره .. أمسك بفرشاته وجهز لوحته .. بماذا سيبدأ رسمه؟ .. سيبدأ بشعرها .. في المرة الأخيرة حينما ذهب لزيارة أهله وجدها تقف في شرفتها .. يومها توارى عن عينيها حتى لا تراه ولكنه أدام النظر إليها، مازالت كما هي بجسدها الممتلئ دون بدانة .. تمسك بقدح القهوة الذي تعود ألا يراها في شرفتها بدونه وكأنه عيب خلقي ملتصق بيديها .. وتشعل سيجارتها.

مازالت كما هي .. شيء وحيد اختلف .. شعرها أقصر .. ولكنه سيرسمه طويلا .. لا يستطيع أن يرى شعرها إلا كشلال ليل ينهمر فوق كتفيها العاريين .. رسم خطوط وجهها .. شفتاها صغيرتان ممتلئتان .. اجتهد في رسم طابع الحسن لديها الذي لطالما عشقه ، فجأة توقف عن الرسم .. فلقد أصبح مطالب أن يرسم عينيها .. دائما ما كانت بالنسبة له مجموعة متداخلة من المشاعر والانفعالات فكيف يعكس كل هذا في لوحته؟! .. إن عينيها تحد في حد ذاته.

أوقف الرسم وأشعل سيجارته..

فيهم كلام للقدر متداري مش مكشوف

ألقى سيجارته وذهب ليعاود الرسم .. سيخلص عينيها من كل الأصباغ .. سيرسمها بيديه وكما يراها .. سيضع لها اليوم هو الأصباغ .. اندفع يرسم .. ويرسم ..بكل انفعالاته.

حينما فرغ وجد أنه قد قضى ليله كله يرسمها .. كان قـــد عقد العزم .. اتصل بصديقه.

"أنا مش جي الشغل النهار ده"

وقف يتأمل لوحته .. شعرها ثائر بلا أدنى قيـــد .. فمهـــا يصرخ من اللوحة دون كلمات .. رموشها الكثيفـــة تحـــيط بعينيها.. عينيها التي أجهد نفسه فيها .. التي أفرغ وهو يرسمها جميع ما مر به من مشاعر في حياته .. تظهـــر الآن كلوحـــة مستقلة بذاتها تختصر جميع مشاعر الدنيا في لحظات.

وقف يتأمل لوحته لما يزيد عن الساعة .. يشعل ســـيجارة من الأخرى .. ثم أطفأ آخر سيجارة بيديه .. ارتدى ملابسه.. غلف اللوحة،وذهب إلى أقرب مكتب لإرسال الطرود.. كتب عنوانها على اللوحة.

في طريقه إلى منزله ابتاع علبة من سجائره.

عاد

.

.

اسكت صوت منير

.

.

أطفأ البخور واصل نومه الخالي من الأحلام و لم ينس قبل أن ينام أن يفكر في أن يرتدي غــدا ذلــك الــسروال الأســود والقميص الرمادي وربطة عنق ملائمة.

.

.

.

دائما ربطة عنق ملائمة.

مراحل

هي فتاة لا تعرفيها جيدا.. فتاة لا تعرفينها جيـــدا قابلتـــه فعشقته .. رأته يقبل الأخريات على سلالم المترل وصدقته حين أخبرها أنه لم يفعل .. ثم جائت تلك المرأة التي ارتضته زوجـــا لتعود إلى مترلها فتشتم عطر الأخريات في فراشها وتقتنع أنها لا تعرف رائحة عطرها الخاص جيدا.

تلك الأخرى هي التي كرهتيها حينما خطوتي إلى حجـــرة نومك ورأيتيه بين أحضان عاهرة ما وكرهتيها أكثـــر حينمـــا صدقته في قوله انه كان مضطر لذلك .. كرهتيها حينما وقفت في المرآة تتأمل أنحاء جسدك العاري وتقوم بشفط معدتك ومد يديها وقرص أجزاء من جسدك متخيلة وجـــود تـــرهلات لا وجود لها وخالقة زيادات لتكرهها.

أنت هي من تستيقظ من أفكارها على صوت الموبايـــل .. وتهرع بإطفاء سيجارتها ودفع الحساب لتحضر ابنتـــها مـــن زيارتها الأسبوعية لأبيها.



ما يناسب فتاة مثلها



أسندت رأسها إلى زجاج النافذة بجوارها .. بعد طقوس البكاء والوداع من مودعيها ومحاولتها التماسك أمامهم وإثبات سعادتها بالقرار ، كان عليها الآن أن تتابع صعود الطائرة التدريجي عن الأرض ، وتغلق عينيها حتى لا تسمح لدموعها بالفرار منها .. عاهدت نفسها منذ فترة ألا تبكي أبدا .. ولكن من اليوم عليها أن تحافظ على جميع عهودها ونفسها، فلم يبق غيرهم سويا.

بالتدريج تبتعد الطائرة عن الأرض .. بالتدريج تترك العديد من الأحباب والذكريات .. بالتدريج يختفي المشهد الذي حاصرها عمرها كله .. بالتدريج تحدث معظم الأشياء .. بالتدريج نقع في الحب ، بالتدريج ننسى.

كانت تعرف أنها تركت خلفها عمرا عشقت الكثير منه ولكنها كانت تدرك أيضا أن طريقها الآن هو

الطريق الأفضل.

تزيد من إغماضة عينيها حتى لا تخالف عهدها ، فتتلاحـــق الصور عليها .. الشارع القديم .. والقطة البيضاء ، والطفـــل الوقور جدا الذي كان صـــديقها .. صـــديقاتها المقربـــات .. صديقها الـــذي يملك القدرة أغلب الوقت علـــى إضحاكها.. محشي ورق العنب من يد أمها ، وعودة والدها بالخارج محملا بالعسلية معتقدا أنها مازالت تحبها ، وفرحتها بها بالرغم من أنها في أغلب الأحوال لن تأكلها و.....

لـــن تبكي .. بالفعل لـــن تبكي .. من البدايـــة كانـــت تعرف .. البنت التي تدخن كثيرا وتحتسي القهوة فـــي أكثـــر مـــن حالة ولـــها ضحكة عالية ،، كانت تكره نفسها جـــدا حينما تبكي فـــي أحـــد الأفلام الرومانـــسية .. فهـــي دون غيرها كانت تعرف أن القصص الرومانسية والنهايات السعيدة مخصصة للفتيات الهادئات الـــذين لا يسببن الأشـــياء كـــثيرا ويجدن النظر أرضا أغلب الوقت ويحببن مهند وينتظرن حلقاته.

الأشياء أغلب الوقت تمتلك وضوحا يعمي عيننا فلا نرى إلا إذا ابتعدنا .. لـــذلـــك كـــانت دائما مـــا تمتلـــك القـــدرة على نصح الآخرين وتمتنع عن الاقتراب .. فإذا اقتربت أصابك العمى وهـــي لا تعي حيثيات التعامـــل مـــعه .. لـــكن

الاقتراب علينا حق، وبالتالي يأتي يوما تقرر أن تبتعد للأبد حتى تمتلك الرؤية.

ربما تـــجد حياة فـــي مكان آخر تليق بالفتاة التي تســـب كل الأشياء السيئة وتدخن كثيرا ولا تجيد النظر أرضا.

تفتح عينيها وتطلب من المضيفة فنجان من القهوة التركيـــة المضبوطة.

قبل أن يرحل

إن كنت من رواد نفس المكان سيكون من السهل عليك تمييزهما من بين الموجودين بسهولة .. وإن لم تكن فدعني أنا أخبرك عنهم ستجدها جالسة واضعة ساقا فوق ساق محاولة التماس الدفء في ضم جميع أطرافها .. وتجده جالس متعجبا من سوء القهوة التي لم تأتي بكمية السكر المضبوطة يشعلان سيجارة من الأخرى فيرفع صوته قائلا "إحنا بنحرق كتير ليه؟".. فلا تعطيه إجابة مفهومة هي فقط تخرج همهمات متتالية منغمة فيرفع حاجبيه في فهم في بداية المشهد قد تلمح سلاما يجعلك تتساءل لماذا يصرون على التصافح بأربعة كفوف متشابكة .. لماذا لم يكتفوا باثنين؟!! ..

ثم تتجاوز مطلقا افتراض أنهم بالتأكيد مازالوا يلعبون لعبة المراوغة سويا ربما إن أطلت النظر إليهم تلمحك هي وتدرك ما تعتقد فتبتسم مخبرة إياه " الغبي اللي هناك ده فاكرنا اتنين حبيبة" .. سيطلق ضحكة مرتبكة ولا يرد لن يتجاوز الصمت بينهم أول عشر دقائق من الجلسة ثم

يأخذهم حديث مطول عن كل شيء ولا شيء .. هو الحديث من أجل الحديث .. ممارسة فن الإصغاء والتواصل البشري نظرات الاهتمام في عينيهم تجعلك تعي جيدا أن تلك العلاقة لا تحتوي على أقل قدر من المصالح أو المنافع .. وانزعاجهم من الويتر الخاص بالمكان الذي يأتي كثيرا ليسأل عن مدى جودة الأمريكان كوفي تجعلك تعي جيدا أن ما يقال بينهم لا ينبغي أن يكون مسموعا فيثار فضولك ستسمعها تخبره عن أن كل الكلام لا يجب أن يكون مسموعا وأن حديثها معه يسعدها ..

وتجده يخبرها أنها الوحيدة التي يتحدث معها بهذا القدر سترفع حاجب واحد فقط وتخبره أنها معتادة على أن يتحدث الأشخاص كثيرا وأن تسمع هي الأكثر مما يقال تعلو الضحكات وتعلو السجائر في المطفأة ويبدأ كلا منهم في سرد أحداث الفترة السابقة للقاء تعبس قليلا لأنها ربما تذكرت شيئا سيئا في تلك الفترة لن تخبره به .. يسألها عنه فتؤكد سعادتها بوجودها معه هربا من الإجابة ..

يدرك عجزها عن الضعف فيتراجع عن سؤاله ويؤكد لها كم هي قوية .. تبتسم في راحة مرة أخرى في نهاية اللقاء عليك أن يأخذك الفضول إلى السير خلفهم لتكمل المشهد .. ستجدها تهبط سلالم المكان في خوف وتردد وتخبره "السلم ده

حالف يوقعني في يوم" .. فيضحك ويخبرها " لو وقعتي أنا موجود أسندك" .. تعرف أنه يعني الكلمة جدا وبأكثر من معنى فتبتسم يكفيني جدا استعدادك هذا في طريقهم ستلمح عينه مثبتة على طريقة سيرها.. وستشعر هي بنظراته في ظهرها فتلتفت إليه مصدرة نظرة عاتبه فيسرع الخطى ليتخذ موقعه بجانبها وعند مفترق الطرق ستتشابك الأربعة كفوف مرة أخرى .. وسينظر في عينيها وقبل أن يرحل سيخبرها: أحبك منذ فترة تنظر أرضا وتخبره .. أعرف منذ فترة .. ولكن سيسحب يديه من السلام دون رد فعل يذكر سوى نفس الابتسامة المرتبكة ستقرر مراقبته هو وهو ينتظر حتى تختفي عن نظره وتجده يبصق أرضا ويقول .. إذن هو الوداع تلك المرة وستبقى أنت فترة لا بأس بها تلوم نفسك لأنك تمتعت بالفضول الكافي لمراقبة وداعهم الأخير.

مها

لا أحد يذكر مها .. حاولت كثيرا أن اذكرهن بها.. أصفها.. أصف ابتسامتها البريئة ووجهها الودود،ولكن لا أحد يذكر مها.

صديقاتي كلهن تقريبا بالتأكيد يعرفن مها.. فكلهن صديقات الطفولة وهي كانت معنا .. تلك الطفلة" المكلبظة" التي تمتلك أكثر الوجوه ودا في الدنيا .. بداية معرفتي بمعنى كلمة وجه ودود .. كان وجهها الودود دوما يتحول إلى أكثر ودا حينما تنظر إلي .. كانت تتلعثم في نطق اسمي وتخبرني بمخارج ألفاظ صحيحة جدا "أنا بحبك".

حاولت كثيرا أن أذكر صديقاتي بمكان جلستها في آخر الفصل، أو بقميصها الزاهي دوما وابتسامتها الطيبة فلم يتذكرن.. حكيت عن موضوع التعبير الذي كتبته بالعامية ووقفت لتقرأه فدمعت عيوننا جميعا.. وعني حينما أوقعني

أحدهم أرضا وحمل مها لي كطفلة إلى الحكيمة.

حكيت عن ضرب مها "للواد" هشام الذي اوقعني وعن عيون مها السمراء الواسعة وخدودها الحمراء،فتذكرت إحداهن قائلة..

"آآآآه مها الفشلة؟"

وتذكرت أنا .. تذكرت المرة الوحيدة التي نظرت فيها إلي عاتبة .. حينما التففن صديقاتي حولها يهللن "دبدوبة التخيييييينة" ، وأنا بعيدة لم أشاركهن و لم أمنعهن.

كانت سريعة الغفران .. لم تعتب علي لأني وددت أن أحافظ على مكانتي وسطهن فلم اهرهن .. و لم تعتب علي لبقائي بعيدة عنها أو قريبة بأداء الشفقة فقط أمام الأعين .. يومها فقط عتبت مها علي بعينيها ثم انتظرت لتأخذني بعيدا قائلة .. "أنا بس مستخسراكي في العيال دول .. أنا مبقتش بزعل من حد".

ورددت أنا باستغراب شديد "ليه يعني؟!!" .. لتجيبني بعمق شديد لم افهمه وقتها "أنا أصلي بشوف روح الناس".

مها التي كانت كل بنات الفصل يتحايلن عليها ليلعبن معها "دوخيني يا لمونة" فقط استغلالا منهم لحجمها الضخم ..

كانت ترفض اللعب معهن جميعا وتأخذ بيدي أنا وتـــدور بي فأفقد توازني للحظات خدر لذيذة تغرقني بإحساس الطيران .. هي التي افلتتني من يدها يوما أثناء اللعب لأسقط أسفل قـــدمي معلم الرياضيات ليسخر منها ومن حجمها مقارنا بين حجمها وحجمي الصغير وتبكي لا لسخريته منها ولكن لأنها أوقعـــتني أرضا .. هي التي كانت تجلس بجانبي وتـــضفر لي خـــصلات شعري الأسود قائلة .. "شعرك حلو أوي أوعي تفكيه قـــدام الناس" .. هي مها التي أوقعتها أرضا في أكتوبر ٩٢ ولم ينفعها ضخامة حجمها حين داستها أقدامهن و لم تتذكرها سواي.

حكاية

الاسم: نجيب باشا شكور

السن: لم أعد أدري كم من الأعوام مرت تحديدا.

محل الإقامة: منطقة حدائق القبة.

يقولون أنني سميت تيمنا بأول من سكنني .. نجيب شكور باشا هو أحد بشوات الزمن الجميل .. أتاني وتخيرني موقعا ليبني قصره .. في البداية كانت الأحداث رتيبة.. لا يمر يوم في جديد.

خرج الباشا أو عاد .. أولاده .. قصر آخر يبني لثري آخر.. تستمر الدائرة بين أولاد وأحفاد وقصور الأثرياء،وتصر الحياة على الرغم من ذلك على رتابتها .. حتى تبدأ طبقة أخرى في التسلل إلي .. شيء ما يدعى بالمنازل المتعددة الأدوار.. بيت وبيت وبيت فتتخلى الحياة عن رتابتها قليلا.

إلا أن تلك الطبقة لم تكن تملك تعريفا ما .. فأختلاطهـــا بأثريائي صبغها بأرستقراطية وبيوتهـــا ذات الأدوار المتعـــددة جعلتها متوسطة .. الحقيقة أنها كانت مزيج رائع جدير بخلـــق نوع ما من الحياة لكسر الملل.

بدأت الخطى المتعبة تتحرك فـــوقي صـــباحا للـــذهاب إلى العمل.. والخطى الصغيرة تجري محاولة اللحاق بنظيرتهـــا بـــين طريق مدرسة ولهو .. لتعود الخطى المتعبة آخر النـــهار محملـــة بغنائم الصغار .. كان من الممتع في البداية متابعة آثار التعـــب واللهو.

إلا أن الأمر تحول في النهاية إلى خطوااات .. خطوااات .. حتى تصبح الحياة رتيبة مرة أخرى .. ولك أن تتخيل أن رتابة الزحام أكثر مللا وخاصة أن الصغار لم يكفـــوا عـــن ركـــل احجاري كسرا لمللهم الخاص.

حتى دبت فوقي خطوتان .. خطوتان جعلوني اهتز فرحا .. وكأنهم جاءوا فقط لإنقاذي من السأم .. خطوة الفتـــاة الـــتي تسمع فيروز وتحبني ملوثا بالوحل بعد ليلة ممطـــرة ، وخطـــوة أخرى تتبعها دائما عن كثب .. خطوة الفتى صاحب العيـــون العسلية.

ــ أنا زارني طيفك في منامي قبل ما أحبك ــ

تعود الفتاة إلى مترلها وتقف أمام مرآتها،تحزق جلباها البيتي ذو النقط الزرقاء قليلا ثم تتمايل في سعادة تلقائية بقرب خطوات الفتى .. تفتح شباكها موجهة دعوة للشمس لدخول غرفتها وتطل علي .. ترفع رأسها وتميل به يمينا قليلا لتتمكن من رؤية الفتى.

يعود الشاب إلى مترله فيفتح شباك غرفته على مصراعيه ويتعمد الوقوف بالفانلة الحمالات والسيجارة مدعيا الشرود في اللاشيء ربما ليعطي الفتاة الفرصة للتأمل في الشعيرات الصغيرة بصدره دون أن تصاب بالحرج.

ـ راح فتح أبوابي وانده على أصحابي قلهم قمرنا زارـ

الفتاة التي تحب فيروز وتفضلني ملوثا بالوحل تظنني لا أعرف شيئا عن نقلها البصر بين أحجاري والنافذة المغلقة التي عليها أن تميل يمينا لتراها.

الشاب ذو العيون العسلية يحسبني لم أشعر بالخطوة الجديدة التي تخص الفتاة ذات الشعر الأحمر و لم المح قبلته لها المختلسة في مدخل بيته.

ـعندي ثقة فيك وبيكفيـ

. . . أنا ما عندي أكتر ....

میکانیزم دفاع

تعود أن يمزق دفاترها .. يخبئ أشيائها .. يطلق الدعابات السخيفة التي تستفزها.

حينما مرضت وتغيبت عن المدرسة اجتمع الصغار محاولين تقرير جمع المال وشراء هدية لها .. إلا هو اشترى لها دبوس شعر أزرق وأرسله مع صديقتها إلى منزلها.

عندما عادت من مرضها .. دفن رأسه في دفتره وقال شيئا عن كيف أن قاعة الدرس كانت أفضل من دونها .. فقط لتجيبه تلك المرة بابتسامة عابثة بدبوسها الأزرق.

ولد عترة وصبية حنان

كنا كمن يجدر بمن هم مثلنا أن يكونوا .. طفلين في مقتبل العمر لم نعرف إلا أنه حينما بدأ الفهم يتسلل إلى عقلنا كـــان أحدنا في حياة الآخر .. كان كلينا هنا .. يكـــبرني بـــسنة ، والسنة في حساب الأطفال عمر .. في تلك الفترة الـــتي كنـــا نجاوب على سؤال الآخرين عن العمر ب "عندي خمس ســـنين ونص" ، والنصف أكثر أهمية من الخمسة لو تعلمون.

كان صورة من صور أطفال كتب القراءة .. الطفل النظيف مهندم الملابس وثابت الشعر دائما .. مهندم الملابـــس طيلـــة الوقت .. لا تملك أمام مظهره في أي لحظة إلا أن تفكر أنه قام بالاستحمام حالا، وكنت طفلة من من تقول عنها بقلب نقي أن "البت لمضة" .. أتمتع بشيطنة هائلة ولا أجلس ثابتة لدقيقتين دائما فاركة محركة ذيل الحصان الأسود الذي كانت تصر أمي عليه.

كان هو وأخ أصغر له .. أخ كانت مهمته الأساسية في الحياة لفترة لا بأس بها أن نثبت أن الأطفال يتمتعون بقدر لا بأس به من السادية .. نتعمد جذب أي شيء يتمسك به الصغير لينطلق في بكاء يجعل أمه تهرع من مطبخها مستفسرة عن سبب بكائه فنجاوبها ببراءة منقطعة النظير .. "مش عارفين."

كنت القائمة بدور المحرض على الحدث دوما أما هو فكان القائم بالحدث.

فراقنا الأول .. كان عند ذهابنا للنوم .. استعطاف من أمي أن أدخل إلى مترلنا ليرافقني ويأتي دور أمه في الاستعطاف .. كنا ننتظر اليوم التالي على مضض.

فراقنا الثاني .. نتحمل الذهاب إلى مدرستين مختلفتين بانتظار انتهاء اليوم الدراسي .. كنت بحكم قرب المدرسة أعود قبله وانتظر حتى أسمع خطواته على درجات السلم ، خطواته التي تميزت بالصخب بسبب إتباعه لطريقة "مازينجر" في السير، ونجلس بانتظار أمي وأمه مثيرين أعصاب أختي الكبرى التي كانت تقوم بمجالستنا.

وضع خطة لنقله إلى مدرستي ووعود منه مستندا على حتمية الأمر فبالتالي أباه لن يتردد في نقله ليكون معي .. يؤذن

في الجامع الصغير بصوته النقي كطفل القوي كمؤمن لم يعـــي معنى الإيمان إلا بفطرته .. يجلس ليخبرني بكلماته الصغيرة كم أن المواظبة على الصلاة صعبة في بدايتها إلا أنني بعـــد فتـــرة سأعتاد عليها وسأشعر بالنقص والفراغ إن توقفـــت عنـــها ، بكلماته كطفلة أمارس الانبهار وأخبره "أنت حتدخل الجنة."

فيجيبني بفخر .. "أنا كمان حافظ ٣ أجزاء من القرآن."

نمارس الطبقية مع بقية أطفال شارعنا ونمتنع عن الاخـــتلاط بهم .. نمارس اللعب التخيلي بناءا على خيالي الواسع ورغبتـــه الدائمة في لعب دور البطل الأسطوري .. نؤدي جميع المهـــام المكلفين بها سويا بدءا من "لم الجزم وملـــي القزايـــز" وحـــتى الذهاب لشراء الخبز.

فراقنا الثالث .. حينما حصل أبوه كمعظم أباء تلك الفترة على عقد للعمل بالسعودية .. كان سعيدا كطفل وهو يخـــبرني "حركب الطيارة." ، وكنت سعيدة لسعادته بركوب الطيارة.. لم أكن بعدي قد وعيت أن ما سيفصلنا بعد ذلك هو أكبر من الذهاب إلى النوم أو اختلاف المدرسة .. فقط عندما أتى اليوم التالي ولم أسمع الآذان بصوته عرفت أني سأهبط لشراء الخبـــز وحدي.

وقتها تعلمت أن هناك ما يسمى بالخطابات في هذا العالم ..

خطاباته التي كانت تكتبها له أمه على ورقة من أوراق كراسه المدرسي .. ورقة لم تكن تشبه ورقنا وقتها .. عند تلك النقطة كانت بداية مفهومي أن السعودية بالتأكيـد في عـالم آخـر وليست على تلك الأرض التي أعيش أنا عليها .. إن كانـت تحتوي على ورق مثل هذا والعاب كالتي يعود بها ـ كانـت بداية معرفتي بألعاب بس أند بس ـ وحيوانات لم أسمع باسمها تدخل المنازل فبالتأكيد هي ليست على نفس الأرض .

كان يأتي شهر واحد كل سنة .. يمنحني وعدا بأخذي معه عند الرحيل .. أبوه لن يمانع بالتأكيد فهو يعرف أننا لا نحـب أن نفارق أحدنا الآخر ، وكنت أوافق معتقدة أن أهلـي لـن يمانعوا في رحيلي فأنا مزعجة بالقدر الكافي للتخلص مني،وتمـر السنوات ويصير عندي إحدى عشر فيعود ويبقى بمصر .. عاد لينقصوا من عمره الدراسي سنة فيصبح في نفس سنتي الدراسية مما أعطانا حجة أقوى أن نطيل من مكوثنا سويا.

أولى سنوات المرحلة الإعدادية .. مشاجراته مع أصـدقائه حينما كانوا يعلقون بمراهقة طفولية على سيرنا سويا في طريقي الذهاب والعودة .. حتى أخبر الجميع أنني أختـه ، وصـدقنا الكذبة وصرنا نتعامل بناءا على هذا ، فلا يتركني انزل وحدي ولا يحب صديقاتي ولا أحب أصدقائه وأخشى عليه منـهم ،

ويحذرني من جارنا بالعمارة المقابلة.

كنت الأسرع فهما وكان الأكثر مجهودا ..

وصار الأخ الأصغر هو الأخ الأصغر لي أنا أيضا ، فكنت أحرص على حمايته فإن ذهبنا إلى مترل جدتي وكان السلم مظلم كنت أحرص على صعودهما في البداية ثم أبقى أنا في آخر الصف انطلاقا من اعتقاد الأطفال أن الخطر دائما يأتيك من حيث لا تنظر .. واحنق دائما على الكبير حينما يسبقنا تاركا الصغير وحده.

نسى السعودية .. حاول تعليمي قيادة العجل وفشل فاكتفى بأخذي معه في نزهات على دراجته .. سهرنا سويا للمذاكرة .. تشاركنا عدة أشياء ولكن.....................

فراقنا الرابع .. ليس على الأيام أن تمضي على وتيرة واحدة،فمهما كانت درجة نقائك لن تستطيع أن تأخذ منها عهدا.

كان لابد قبل بداية العام الدراسي الجديد أن يترك حينا الهادئ لينتقل إلى أحد المناطق ذات العمارات الشاهقة والتي يطلقون عليها مناطق راقية.

كان عليه أن يتركني .. هذه المرة دون وعد ،ودون

انتظار.. يومها كنت اعرف أنها بداية لنوع جديد من العلاقــة لم أكن أعرف اسمه .. تجمعت دموعي جميعها علـــى بـــدايات رموشي دون أن تسقط .. ودعتـــه واعـــدا إيـــاي بـــالمجيء للزيارة،وقد فعل مرة واثنتان وثلاثـــة .. وفعلـــت ، إلا أن في النهاية انقطعت الزيارات وقلت الاتصالات الهاتفية ، و لم أعـــد انتظر ، و لم أعد أريد الانتظار.

فراقنا الأخير .. حينما أصبحت أنا مع كتبي وقهوتي المـــرة ومقاهي وشوارع وسط المدينة ومنير وفيروز ، وأصبح هو مع جيتاره واصدقائه المجهولين والأماكن المتكفلة وميتاليكا.

وتركنا من خلفنا .. عم قاسم والفـــيلا المجـــاورة المليئـــة بالكلاب وفيلا الراقصة وشباك عم شكشك وقطتنا البيـــضاء ومعمل أنيس عبيد ومراقبة تقطيع الأفلام من شـــرفة منزلنـــا والرجل الأحمر.

حينما أصبحت أشعر بالغربة حين الذهاب إلى حي جمعنـــا وصنعنا لنكون.

اختلاف يفسد للود قضية

نحن نختلس من أقدارنا لحظات .. لحظات تخبرني أنني حمقاء وأنك أكثر حماقة مني

طرقات الباب لم تعد تعني شيئا منذ رحيلك ، فطرقاتـك المنظومة الإيقاع لن تأتيني في صباح بارد أو ليل أزرق .. ربما لأن الليل لم يعد يتمتع بزرقة كافية ولا الصباحات الآتية تحمل رعشة البرد بجسدي ودفئا في القلب.

"أنا لما بفرد نفسي قدامك بعتبر أني ورقـة بيـضا أتملـت شخابيط بقلم رصاص ممسكتهوش إيد فنان ومع كل مرة ببوح بمسح شخبطة من شخابيط القلم العبيطة عشان ارجع ورقـة بيضا تاني"

دائما ما اتحدث عنه كأني اتحدث إليه .. لا اعرف لما أفعلها بهذه الطريقة .. تشبيهاتي كانت دائما ساذجة من وجهة نظره

وأنا كطفلة أعود .. كراغبة أعود .. كراهبة أعود .. كورقـــة بيضاء خالية من العقد والتجارب أعــود .... فـــلا يقبلني.

"بعدها لازم أديك قلم فحم ترسم بيه لوحة مفـــيش أروع منها لرسام نص مغمور بس مبدع."

كلماتي له غالبا صادقة .. معانيها مجردة من زيف مـــدعين التقوى ولزوجة مدعين التحرر .. إلا أنه أبدا لم يفهم وقرر أن يلعب دور العالم ببواطن الأمور .. يحللني ويلـــصق بي طبـــاع وتصرفات ليست بي.

ربما لذلك فقط أحببته .. أحببته كي أثبت أنه أحمق وأنـــي أكثر حماقة.

****

حينما جاءتني الغبية .. جاءتني بـــصراحة وقحـــة جعلـــتني انبهر.. من يملك هذه القدرة على البوح يستحق الحـــسد ولا شك .. حسدتها بنفس راضية إن كان هناك ما يدعى بذلك.

"بين الألف والكاف حرفين (حاء وباء) .. الألف هي أنـــا والكاف نهاية بتوصلني أنا لبكي"

أميل دائما لفبركة الكلمات حتى أبهرها .. تصفعني بساطتها

فلا أجدني .. أتوه .. حينما تفرض خيالاتها علي انصهر فلا أعرفني .. هي تراني تجسيدا لكل ما حلمت به .. ألم تعرف أبدا أن الحلم إن خرج عن نطاق الحلم أصبح واقع؟؟! .. وللواقع عيوبه،يدهشني اندهاشها من بعض الافتعالات الواجبة والزيف المحبب إلى النفس .. يتعبني ميلها إلى لعب دور العائدة عن الخطيئة والمغسولة من الإثم.

"العالم هو جزء مني ومنك على شوية أحلام لبشر تانيين في الغالب ما بتتحققش."

تريدني رساما نصف شهير ولكن مبدع وكأني امتداد ما لولعها بالشعراء المجهولين الذي لم يقرأ دواوينهم غيرها .. وأنا في الحقيقة أعرف قدراتي التي ستجعلني فنانا مشهور نصف مبدع .. على كل حال الأمر لن يتعدى بعض دقائق أو أيام أو سنوات أثبت فيها أنها بالفعل غبية .. وأنا بالتأكيد أكثر ذكاءا.



كان عليها أن تنتهي كذلك



تتحرك بسرعة مرتبكة .. يسقط من يديها وعاء أو اثنان .. تشعل النار .. تتجه إلى الثلاجة.

عليها أن تنتهي من ما تفعل سريعا .. عليها أن تعد الغداء ، وتنظف ما أسقطت.

عليها أن تستحم وتغير ملابسها .. تضع براد الماء فوق النار حتى يأتي فتعد له كوب من الشاي بجوار الطعام وتكون قد انتهت لفترة ما .. استراحت مؤقتا.

أنهت إعداد الغداء .. دخلت إلى الحمام .. أغرقت نفسها في الماء الساخن .. فركت جسمها بقسوة .. مرة،اثنتان،ثلاثة.

عليها اليوم أن تتقي شره.

لن يملك ملحوظة واحدة اليوم عليها .. كدمة الأمس لم تشفى بعد .. أنهت حمامها وهي تتأكد من لون بشرتها الأحمر من كثرة " الفرك" .

جلست أمام المرآة لتضع زينتها .. تأملت الكدمة في عينيها اليسرى .. ابتسمت في سخرية .. يليق لون الكدمة بلون عينيها كثيرا.

مع التركيز تتلاشى صورها في المرآة وتتحول لمجموعة مشاهد متلاحقة .. مشاهد هي فيها دائما الخاضعة متلقية صفعات وركلات فقط على أفضل الأحوال هي الصور الوحيدة الباقية في ذاكرتها من سنواتهم سويا .. لم تعد تعرف أين ذهب الحالم الذي أحبته .. الشخص الذي تعود أن يمنحها وردة صباح كل يوم .. أين ذهب وتركها مع ذلك اللعين الذي ينتفض جسدها رعبا حينما يتحدث .. أصبحت تقضي يومها في انتظار صفعة الباب معلنة عن مجيئه حاملا صفعات أخرى متكررة على وجهها الأبيض.

لم تعد تذكر مناقشة بينهم انتهت على خير دون أن يهينها.. الكرباج السوداني الذي أخبرها أنه ليس إلا نوع من أنواع الاختلاف في تصميم منزلهم .. متى تحول إلى أداة لها في معتقلها الخاص، لم تعد تعرف.. متى تحولت الفتاة المعتزة بجمالها، المثقفة الأنيقة الرافضة لكل ما هو تقليدي التي كانتها إلى تلك الأنثى الخاضعة التي تدعو الله يوميا أن ينتهي اليوم على كدمة بسيطة في مكان لا يراه الآخرون.

صفعة الباب .. ارتعاشه جسدها .. نهـوض مفـاجئ .. تسقط على أرض الحمام من العجلة .. لقد غرقت في خواطرها ولم تضع له الطعام ليأكل .. هرعت إليه لا يسترها إلا بشكير الحمام .. سارعت بوضع الطعام.

صراخ .. لكمات تكيل إلى كل ما تطاله يداه من جسدها العاجز المستكين .. هناك بعض الكلمات عن قطرات المياه من جسدها العاري .. كلمات أخرى عن الطعام وعن .. وعن .. وعن ..

تتداخل اللكمات مع الكلمات وتستكين هـي في محاولـة لتجنب استفزازه حتى لا يسحب قطعة ديكوره المختلفة مـن مكمنها.

ينتهي من مهمته ويجلس ليأكل بشهية لم يفسدها شـيء ، وتتكور هي على نفسها في أحد أركان الحجـرة باكيـة دون دموع .. انتفاضات متتالية من البكاء لكـن لا دمـوع .. لا عجب أن تكون دموعها انتهت في أول عام مـن زواجهـم.. يتجرع كوب الشاي كخرتيت.

يمر بها .. يراها .. يقترب منها باكيـا ، دامعـا ومعتـذرا كعادته .. يضمها ويخلع عنها بشكيرها الوحيد ويبدأ في تقبيل آثار ضرباته.

وكأنه كان يضرها ليحدد الأماكن التي يريد تقبيلها.

تستسلم له ليتم مهمته .. ذلك اللزج المقزز .. لم تعد تطيق أنفاسه ذات الرائحة الخنزيرية .. ستصمت تماما حتى ينتهي .. وستدعو الله ألا يكتشف إيهاب حينما يأتيها أن ذلك الأهوج قد ضاجعها اليوم .. فامتلائها بزوجها يعكر صفوه.

الناي

تخبرني جدتي أن ناي عم محمود شجيا جدا .. لم أعرف ما معنى شجيا ولا حتى معنى ناي ولكني جلست بجوار جـــدتي في شرفة مترلنا وهي تضع القهوة على السبرتاية وتستمع إلى نـــاي عم محمود.

عم محمود نفسه لم أكن أعرف ملامحه جيدا ، و لم أكن قد رأيت نايه أبدا إلا أنني سمعت من جدتي عنه ، وتوقعت أن تلك الأنغام السحرية التي تأتيني ليلا وأنا بجوارها والـــسبرتاية هـــي أنغام الناي.

حتى أتى اليوم الذي أصبحت فيه بالكبر الكافي لأنزل مـــن مترلنا ولكن بالصغر الكافي أيضا لكي لا ابتعد .. فقط اهـــبط كثيرا لشراء احتياجات المترل من عم بشرى .. كنت أحـــب قطع المسافة جريا من مترلنا لعم بشرى ، وأتعمـــد مرجحـــة خصلات شعري خلفي وأنا أجري كنجمات "السيما" ، فلـــم تتوافر لي الفرصة في فسحتي الخاصة أن أتوقف لالتقط ملامـــح آخرين في طريقي الذي اختصرت مشاهده عندي بـــين يـــد

جدتي المعروقة تناولني النقدية وورقة الطلبات ووجه عم بشرى المبتسم والباقي وما طلبته جدتي.

يوم طلبت جدتي البيض تركت دموع الشمع تحرق يـــدي حينما أتيت بالبيض مكسورا من الجري .. دموع الشمع على يدي أخبرتني ألا أجري أبدا وأنا أحمل البيض لجـــدتي ،إلا أن تمهلي أعطاني الفرصة أن ألمح عم محمود ممسكا بنايـــه عازفـــا عليه، فأفاجئ جدتي بي ممسكة بعود من القصب محاولة الـــنفخ فيه ثم اسألها بدهشة .. "ليه عود القصب بتاع عم محمود بيطلع صوت وأنا لاء؟؟!!"

فتضحك وتخبرني .. "أصل عود القصب بتاع عم محمـــود مسحور وصوته شجي."

قليل من البوح لن يضر



تنهض من نومها ولا تنهض من مكانها،تعيد إحكام الغطاء حول جسدها جيدا ، تمد يدها لتلتقط علبة السجائر من مكانها المعتاد .. أين منفضة السجائر .. ستحتاجها أيضا .. تشعل السيجارة الأولى وتنفث الأحلام مع الدخاااان .. تشد جسدها قليلا لتسحب نصفها الأعلى وتركنه بظهر السرير ثم تبدأ في ممارسة هوايتها الأزلية بعد كل استيقاظ في فرك ملامحها وكأنها محاولة منها لترتيب مواقعها كما كانت قبل النوم.

في كسل تمد يدها إلى جهاز الكومبيوتر .. تفتح الشاشة الخاصة به .. و .. "ساين اين" .. لماذا لا تغلق جهازها أبدا؟!!.. هو الكسل .. ربما بعض من فقدان الرغبة .. و......

أوووووف .. يصيح أحدهم باسمها في الخارج .. لماذا لا يمنحها الآخرين الوقت حتى للتفكير في دوافعها للأفعال؟!! .. تلقي بالغطاء أرضا وتتجه لتلبي من يصيح باسمها في الخارج ..

لم العجلة؟!! .. عن ماذا قد يدور الحديث من الأســـاس؟!! .. يوووووووه.

الجامعة .. الشيوخ .. قناة الناس .. طب ما تيجي تقعـــدي معانا قافلة على نفـــسك ليـــه يـــا بيـــضا .. بيـــضا!!! .. أممممممممممم

ما علينا .. مبدئيا الهروب اليوم هو الـــشيء الأقـــرب .. فلتدعي أنها تملك اليوم ما يحتاج منها إلى سرعة الإنجاز .. عليها أن تترك المهاترات لأصحابها .. هناك بعض الأيام التي لا تحتمل أن تترك نفسك تستمع إلى صوت آخر غير ذلك الذي يحتـــل مؤخرة رأسك.

****

سؤال ملح .. هل يرى أحدكم في كوبري قصر النيل نفس الأغراء الذي أراه أنا فيه؟ .. يغويني بأن أرفع قدمي اليمنى فوق السور الحديدي ثم ألحقها باليسرى وأترك يدي تعانق الفراغ .. حرية .. تحرر .. متعة.

ماذا قد يضاهي متعة أن تسبح في الفضاء لفترة وجيزة يليها ارتطام جسدك بأحضان الماء الثابت .. تحتويك المياه وتحجـــب ضوء الزحام عن عينيك.

حرية

.

تحرر

.

متعة

بعدها ستستمتع روحي بـــالتجول .. ابـــدأ بـــالتجول في حياتي.. أعود لبعض فتراتها وأراقبها من خارج المشهد .. أنـــا الآن مجرد متفرج لا صانع للأحداث.

أنت .. أجل .. هل تذكر ذلك الـــسوار بقـــدمي؟ .. في الحقيقة هو ليس سوارا!! .. هو جزء من سلسلة فضية تمتلـــك أنت الطرف الآخر منها .. أراك تعطيني إياهـــا .. تسلـــسلني فأقبل ، تجعلني فأنجعل .. سأسرع الخطو قلـــيلا في الـــزمن .. أجل.. ما قبل لحظة حريتي .. حاولت فكها من حول كاحلي فلم تستجب .. أحضرت مقصا وقمت ببعثرة الفضة .. ربمـــا أرتدي اليوم واحدة أخرى .. واحدة لا تملك أنـــت طرفهـــا الآخر.

جميل أن تملك القدرة على السباحة في الزمن .. الأجمل أن تراقب نفسك بدلا من أن يفعلها الآخرون .. كم أوحـــشتني

طفلتي الطيبة!! .. حسنا فلنعود .. أنا الآن طفلة سمراء ترتدي جيب قصير جدا نبيذي اللون ومن فوقه قميصا بخطوط طولية وترفع صوتها في الميكروفون المدرسي .. الإذاعة المدرسية من فصل ٤-٢.

لماذا كنت أستولي عليها لنفسي؟!! .. كنت تجدني في المقدمة والخاتمة والحكمة والمعلومة والأخبار السياسية وأحيانا الرياضية إذا ما غاب محمد .. ماذا؟ .. لا تعرفون محمد؟!! .. ليس مهما على كل حال ، أذكر أولى المقدمات التي كتبتها بخط يدي .. ووقفت أقولها بفخر مستمتعة بنظرات الاندهاش.

"بسم الله الرحمن الرحيم"

صباح جديد .. وفي كل صباح علينا أن نبدأ بالتمني .. ولذلك .. أتمنى أن يهدأ البارود في كل مكان ، ويحب الإنسان أخيه الإنسان ، ويتعاونوا معا في درأ خطر الطبيعة وما تسببه من زلازل وسيول وبركان.

أذكر الأستاذ مدحت حينما سألني إذا كنت أعرف ما معنى درأ .. فأجبته:

منع .. سد .. إزالة .. "نقي أنت".

هل أخبرتكم من قبل اليوم أنها كانت مقتبسة؟!! .. أو للحق "متأيفة" .. كانت شيئا ما لا أذكره الآن من إحدى

روايات الهلال للأطفال .. إن كنت لم أخبركم فها أنـــا قـــد فعلت .

ماذا سيحدث إن قمت بخلق الأزمنة؟ .. ها أنا الآن أقـــف في إذاعتي المدرسية ، طفلة لم تتجاوز العاشرة .. وابدأ في سرد المعلومة .. ولكن .. تلك المرة هي معلومة هامة ، ســـأتذكرها في السنوات القادمة .. لا ليست بالتأكيد أن صـــوت الحمـــار يدعى نهيق ـــ وإن كانت تصلح.. والآن ...

الآن مع المعلومة للطالبة: .....

هل تعلم أنك قد تركتني في منتصف طريق لا أجرؤ علـــى إكماله .. ولذلك وقفت منتظرة إحدى السيارات لتأتي وتنجز المهمة .. أما السيارة اللعينة فقد أخطأتني.

من البداية أخبرتكم أن اليوم ليس يومي ــحسنا ــ فلنفعلها أنا والنيل.

ومع الحكمة لنفس الطالبة:

من الغباء أن تكون حقيقيا عزيـــزي الطالـــب ، عزيـــزتي الطالبة.

إن كنت قد استوليت عليها طفلة ، فمـــن حقـــي الآن أن أصنع بها ما أريد .. سأضيف فقرة لفقراتها الغربية.

ومع صدق أو لا تصدق للطالبة:

كل هذا يحدث وأنا بعدي لم ألتق بحضن الماء!!!!

هستريا

الثورة التي تتحرك في القاع تجعلني أدرك، أن اليوم قريب جدا حتى أصبح أنا .. اليوم الذي سأتخلص فيه من جميع مساحيق وجهي ، وأترك خصلات شعري لنسمات الهواء .. صعوبة الأمر لم تعني أبدا في يوم من الأيام استحالته .. أفكر في تلك الأشياء ولا أستطيع أبدا أن أسرا إياها ' فهو سينظر لي ساخرا كالمعتاد متحدثا عن هستيريتي ، أليس كلمة هستريا مشتقة من كلمة رحم في لغة ما؟! _ أوووف _ تبا لذاكرتي المتهرئة جدا ، لا أكاد ألقنها المعلومة حتى تنساها.

- أنتي هستيرية بزيادة!!!

- خلاص ريح نفسك وما تحاولش تدخل في حوار مع إنسانة غير مبررة زيي.

نعم .. اعترف جدا أنني غير مبررة ، ومتى كانت المبررات

هامة؟ .. أتصرف هكذا .. بوازع من داخلي غير الله وربما أنا .. عليه بالطبع ألا يفهم ، فالفتاة التي تحلم أن تودع كل شيء راحلة وهي تعلم أن عقدة الذنب الأزلية ستتلاعب بداخلها ، وتخبرها أنها تركت بخلفها من معظمهم ـ إن لم يكن كلهم ـ لن يتحمل معاناة الفقد مرة أخرى .. هي نفسها الفتاة التي تخبر نفسها ،، أنها إن فعلت ذلك لن يشعر أحـــد ، وإن شــــعروا ومارست عقدة الذنب بداخلها هوايتـــها ، فالغربــــة تغلـــف القلوب بعد فترة بالقسوة .. فترة تدرك فيها أن الأماكن بـــلا رائحة ولا سمة مميزة يمكن أن تميزها في السائرين من حولـــك ، فالسمات المميزة هنا لا تشبهك .. فلا أحد هنا يمتلك الطريقة المصرية العتيدة لوضع رجل بكرش عظيم ليده في جيبه الأيسر على عجل أثناء سيره .. للمصريين طريقــة مميـــزة لوضـــعهم لأيديهم في جيوبهم ، وطريقة أكثر تميزا في الحركة تشعرك بأنهم دائما متعجلين.

آه .. نسيت أن أخبركم أنه في النهاية ستبكي تلك الفتـــاة وهي مازالت بعدها جالسة في مكانها لافتقادها لرائحة الأماكن والسمات المميزة لذوات الكروش .. طبيعي أن يطلق عليهـــا لقب هستيرية .. والأغرب أن تكون كلمة هــــستريا في أحـــد اللغات مشتقة من كلمة رحم وليس اسمها .. كانت ســـتبتلعها أكثر إن فتحت معجم تلك اللغة التي لا تتذكرها فوجدت أمام

كلمة هستريا اسمها بالانجليزية والعربية .. فبالتأكيد ليست كل النساء هستيريات / فجارها مثلا التي ترفع الدولاب البالكـــار يوميا لتنظف أسفله بالتأكيد لا تعي أن هناك كلمة أو مصطلح أو تصرف أو حتى طريقة عيش تدعى هستريا.

آه منه استرسال الأفكار هذا .. طبيعي جدا أن يخبرها أنهـــا هستيرية .. ولكن المشكلة أبدا لم تكمن في هـــستيريتها .. ألم يحب هستيريتها من قبل ويدللها؟ ، حتى اعتقدت أنها في يـــوم من الأيام ستجده جالسا واضعا هستيريتها على ركبته ســـعيدا بها ويطعمها بيده!! .. المشكلة هو ذلك الجدار .. نعم ..

الجدار الخفي الغير مرئي الذي قام بينهم بفعل الحـــاجز في يوم تتذكر كل تفاصيله التي لا مجال لذكرها هنـــا .. ذلـــك الجدار الذي يمكنها أن تعبره بذراعها ، ولكن إن حاولت إلحاق بقية جسدها بذلك الذراع ، ستنحشر في منتصف الجدار دون أن تصل .. فتتمكن فقط أن تمد ذراعها لجذب أنفه فتستطيل ، ينهرها كعادته ويخبرها أنها جنت .. "ومـــا الجديـــد؟!" .. ثم يصرخ فيها أنها هستيرية.

- أنتي هستيرية بزيادة.

- خلاص ريح نفسك .. وما تحاولش تدخل في حوار مـــع واحدة غير مبررة زيي.

صورة

" البروفيل شاددني .. يمكن حابة اشوف بقيـــة الـــوش ، بروفيله م النوع المفهوووم"

"آه تحسي فيه بنوع م الاشمئناط "

ضحكاتنا دائما ما تصلح كخلفية موسيقية لأحد الأفـــلام الصامتة .. صديقاتي القليلات لن يتجاوز عددهن أصابع اليـــد الواحدة .. كانت البداية حوار ما حول كائن مـــا .. دائمـــا موجودة هي تلك البداية التي عليها أن تأخذنا في حوار مغلـــق ليس الهدف منه الوصول إلى شيء بقدر ما الهدف هو التعبير .. القول .. الإفصاح.

وكانت البداية بالبروفيل المفهوم وصاحبه الذي اعتقدتني لن أرى بقية وجهه يوما.

صاحب البروفيل المفهوم كان تجسيدا لكائنـــات يـــصعب عليها التعامل معنا أو كما تقول عنهم صديقتي كائنات غـــير حسيسة .. ليس هجوما على الرجال على الإطلاق .. اعتبروه

فقط قلة إيمان بأن هناك من يستطيع أن حل المتاهة والوصــول لنهاية مفهومة.

"على فكرة .. شكله صورة بس ومش موجود"

" صورة لدقن منبته ونص مناخير وودن واحدة .. ممكــن جدا"

كان من المنطقي أن تحلم كل منــا بشخــصية صــاحب البروفيل .. ذلك الذي ترك صورته على مائدتنا من قبل أن نأتي مصادفة .. فهو لم يكن مجرد صورة في خيال فتاتين "طلبــت معاهم" إطلاق الخيال وعنانه .. إلا أن علي أن أكون الأكثــر خيالا دوما.

"الصورة ابيض واسود واضح انه حد كلاسيكي جــدا .. أكيد شرب ويسكي وحط عليه كوكــا .. ولــع ســيجارته اللايت وساب السماعات في ودانه عشان بول آنكا يعيشه .. دقنه المنبتة دي ما بيحلقهاش على فكرة .. وعنيه ما بتثبتش في حتة .. بيحب الجاز وبيسمع منير لما بيتضايق .. فاهم ومتقبل ازدواجيتها جدا وبيتعامل معاها"

"ازدواجية مين؟!!"

"حبيبته .. مبيستغربهاش لما تصب كوباية الــبيرة مــشبرة

وترفض تشربها .. عارف إنها مش عايزة بقها يتنجس اربعـــين يوم عشان تعرف تصلي .. بيطلب الويسكي بتاعه ويبصله هو كمان من غير ما يشربه عشان يشاركها اللحظة"

قاطع استرسال أفكاري وصوتي المنفعل وأنا ألقيها على أذن صديقي ذلك الصوت الأجش .. جاءنا العجـــوز ذو الـــذقن البيضاء والعيون الطيبة.

"بعد إذنكم صورتي"

وكأنه هو



أجلس في المقهى الغريب عني جدا .. ذلك المقهى بكراسيه القديمة ورواده الذي لا اعرفهم .. وحدي اجلس .. بالرغم أني لا أستمتع كثيرا بالجلوس وحيدة أراه بملابسه الكثيرة التي تتناسب مع حرارة الجو المستحيلة .. وذقنه المشعسة وبيده العود ذو الاوتار المتهرئة.

البحر أمامي جعلني في حالة مناسبة جدا لتقبله بل والاستمتاع به .. في الأساس أنا استمتع بأبسط الأشياء .. ولكن مظهره كفنان شارع جعلني ارتجف بداية دون مبرر .. غير أن البحر جعلني أكثر هدوءا .. أشعلت سيجارتي بانتظار من انتظره وتابعت الفنان الشوارعي .. اعذروني للفظ ولكنه كان كذلك.

بدأ يعزف أنغاما متقطعة تجذبني من مكاني لأرقص وأعاندها كي لا أفعل .. فقط تركت يدي تخبط في بعضها بعضا مصدره ما يشبه التصفيق صوتا لا فعلا.

يا بهجة الروح اسمح بالوصال .. ده الفؤاد مجروح ولا له إحتمال .

بدأت ابتسم مع صوته الغليظ الذي لا يليق بالغناء أصـــلا ولكنه يمتلك سحرا ما .. عندما افترش الأرض متنـــازلا عـــن وقفته .. لمحت من خلفه طلة من كنت انتظر .. تزامن افتراشه الأرض مع دخول من انتظرت جعلني اشعر بتواطؤ خفـــي في الأمر .. ربما جلس ليتابع انفعالي واختلاجات وجهي عند لمحي لقامة الصديق تظهر في أفق المكان .. وكأنـــه يعلـــم بعلمـــي بتواطئه علا صوته وأنا اتـــرك راحـــتي في راحـــة صـــديقي حسنك الوضااااح ماله من مثال .

عندما جلس صديقي بجواري أمرته بالـــصمت فانـــصاع كعادته .. وتركتني اذهب إلى ما خلف الصوت والكلمـــات وحتى أوتار العود .. ورأيت .. رأيت قصرا عاليا يتجول فناني الشوارعي فيه ويرتدي أبهى الحلل .. ومجموعـــة مـــن الخـــدم تنصاع لإشارات يديه ..وبستان ملـــيء بـــشجر اليوســـفي والليمون .. اليوسفي والليمون ينبتون على نفس الـــشجرة في بستانه الخاص .. وأرى صديقي يقطف اليوسفي بيديـــه مـــن الشجرة دون استئذان فألمح شبح ابتسامة على وجه الفنان.

أفيق من شرودي مبتسمة .. فألمح شبحين لابتسامتين على وجهي صديقي والفنان كلاهما .. وألمحه من قرب يمد لي يـــده بكوب لأضع فيه ما قد أضعه من عملات.

بيت ع البحر



وقفت في شرفتها تنظر إلى البحر .. خفضت بصرها قليلا..
أصبح حملها الآن في نهايته ، وإن كان جسدها الضئيل يجعل
منه أقرب إلى زيتونة ابتلعتها ووقفت قبل أن تتم عملية الهضم.

نظرت إلى البحر .. شردت عبره .. تذكرت كل شيء ..
حينما كانت بعد صغيرة ، حينما رآها ورأته لأول مرة ..
كانت تنتظر صديقتها متشاغلة بالنظر أرضا .. جاء هو من
أول الطريق مثبتا نظره عليها .. قامت نظرات بمفعول شخص
ينبهها إلى وجوده .. رفعت عينيها لتواجه عينيه.

تذكرت أن كل شيء تم بسرعة غريبة .. تعجب منها
الجميع .. في أيام معدودة كان يجلس في منزلها مع والدها
وأخيها الأكبر .. أيام أخرى وتمت الخطوبة .. تتذكر جيدا
كيف قام بشراء هذا البيت على البحر .. جالسين سويا قالها
لها :

"أمني."

"بيت ع البحر."

مر يومين وكان معها في الإسكندرية يريها منزلهم الجديد .. نقل حياته كلها إلى مدينة أخرى من اجل أمنية ..

ابتسمت .. جلست .. أغمضت عينيها.

تذكرت كل شيء .. تلك المشاجرات الغير مبررة .. اللحظات التي يتصيد لها بها الأخطاء .. أوقات كثيرة شعرت فيها أنه يتحرش بها ليفتعل الشجار .. كثيرا ما اعتبرته مجرد تنفيس عن غضب من شيء آخر لا يخصها.

حتى تلك اللحظة .. حينما جلست تشاهد معه احد الأفلام القديمة التي تعشقها .. سندت رأسها على صدره .. ما هي إلا لحظات وأخبرها أن تصنع له شيئا ما .. وما أن تحركت حتى منحها نظرة تحمل معنى (هم وانزاح).

في تلك اللحظة شعرت أن هناك جدار بينهما ..جدار يعلو يوما بعد يوم ..حتى اليوم

أحداث اليوم ..أصبحت هي أكثر عصبية نتيجة لحملها.. وأصبح هو في ازدياد في افتعال المشاجرات.. زرار القميص.. ترك المترل من اجل زرار مفقود من قميصه .. إنه حتى لم

يطلب وهي تناست .. هو فقط اخبرها أن هناك زرار مفقـــود ورحل ربما لأن الشيء المفقود عنده لم يكن زرار القميص أبدا.

فتحت عينيها ..أعادت النظر إلى البحر ..أخبرته

_ مش ده اللي اتفقنا عليه خاااااااااااااالص

أجهشت بالبكاء

أول طريق

تقف .. تندهش .. تتشبث بمكانها ، وتنظر.

سيارات .. زحام .. أشخاص .. أصوات .. أبواق.

أكثر اللحظات التي تكره في يومها تأتي _حينما تعبر الطريق _ تقف .. تنظر إلى يديها وحيدة ملتصقة بنهاية ذراعها وتلك النهاية.. لا يد أخرى تعبر بها الطريق.

تنظر إلى مكانه الخالي بجانبها .. تنظر إلى أصابعها التي اشتاقته .. تنظر إلى الطريق ، وتقرر.

تغمض عينيها وتعبر .. لا تعطي اهتماما لكل أصحاب السيارات الحانقين .. لا تعطي بالا لكل المارة الخائفين .. تطاردها اللعنات والكلمات.

"يا بنتي خدي بالك" ..

"حتودينا في داهية يا مجنونة"..

"يا حبيبتي يا بنتي" ..

"فتحي يا مدموازيل"..

أصوات متداخلة .

تفتح عينيها .. عبرت .. تقف مكانها تتفرس في الوجوه .. علها تجد فيها من يصلح ليعبر بها الطريق في المرة القادمة .. من يأخذ بيديها لينسيها أصابعه.

تأتي حافلتها .. تركبها .. يصعد قاطع التذاكر .. تكتشف فجأة أنها لم تعرف أبدا تعريفة ركوب تلك الحافلة .. فقد كان دائما هنا .. تسأل قاطع التذاكر فيجيبها لتطلب منه تذكرتين.. زاعمة أنها تفضل بالكرسي المجاور فارغ منعا للإزعاج .. ينظر لها بدهشة ثم يوافق على مضض ويصمت.

تحمد الله على أنه لم يقل لها أي جملة من نوعية .. "قرفانة كنتي خدي تاكسي يا آنسة."

تجلس .. تعبر بنظرها زجاج الأشخاص .. تنطبع صورتها على النافذة .. تتذكر.

هنا قاربت فتاة على الموت والتفت جميع من بالحافلة لينظروا .. إلا هم.

هنا تعلو صوت سيارة في فرملتها ويلتفت الجميع لينظر ..

إلا هم.

هنا تشاجر أحد الراكبين مع السائق واندفع الجميع ليتدخل أو ليشاهد .. إلا هم.

قطع أفكارها صعود شاب وفتـــاة ليجلـــسوا بالكرســـيين المقابلين بالحافلة.

فرملة عالية لسيارة في الخلف .. ينظر جميع مـــن بالحافلـــة وتنظر هي .. تعاود النظر إلى الشاب والفتاة لتجدهم منشغلين في حديثهم لم ينظروا .. تعرف هي ذلك الإحـــساس بفـــراغ الكون من الآخرين.

تعاود النظر من النافذة .. مازالت صورهما تنطبـــع علـــى الأشخاص.

تصل لمحطتها .. تستأذن السائق في الترول.

تنظر يمينا .. يسارا .. ثم تعبر الطريق.

الفهرس

